

من بحوث مجمع اللغة العربية تأصيل وتصحيح

بقلم الاستاذ عبد الله كزون
عضو مجمع اللغة العربية

خير من الف شهر و (حديث) معاذ آخر ما أوصاني به النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضعت رجلى فى الغرز أن قال حسن خلقك للناس . و (حديث) اذا نشأت بحرية الخ فهذه الاحاديث هى التى قيل فيها لعلها كانت معروفة الاسانيد عند المتقدمين ، وعدم اهتداء ابن عبد البر الى أسانيدنا ليس دليلا على عدم وجودها . وبالفعل فان ابن الصلاح قد وصل هذه الاحاديث الاربعة فى تأليف مستقل وهو بعد ابن عبد البر .

وهذا هو ما قصدت التنظير به فى مسألة الواسطة وزدت على نقل استعمالها عند غير واحد من الاعلام بالمعنى المراد ، فنظرت فى اشتقاق الموسوط السنى يدل على وجود الفعل الدال على ذلك المعنى وسكوت العلماء عليه .

وأشار الشيخ محمد حبيب الله بن مايا الجكنى الشنقيطى فى نظمه «دليل السالك الى موطأ الامام مالك، لمسألة البلاغات هذه بقوله :

وقد تتبع ابن عبد البر ما
من البلاغ فيه كان علما
وشبهه بالسند الجميع لا
أربعة فما عليها حصلا
وقال بعض من عليه كتبنا
ممن له التحقيق جزما نسبا
ان قصور المتأخرين عن
وجودها موصولة بلا وهن
ليس بقادح فربما ترى
موصولة لبعض من قد غبرا

قرأت فى الجزء السابع عشر من مجلة مجمع اللغة العربية كلمة نلعالم البحاة أمين الخولى بعنوان حول بحث لما به . وهو البحث الذى كنت قدمته الى مؤتمر المجمع فى دورته الثامنة والعشرين واحيل على لجنة الاصول . وكان مما يحتوى عليه النظر فى تأصيل عبارة لما به وتصحيح استعمال الواسطة بمعنى الوساطة وان لم يرد فى كتب اللغة

وأفادت الكلمة المذكورة أن لجنة الاصول وافقت على ما ذكرته فى تأصيل عبارة لما به وعلى اقرار استعمال الواسطة بمعنى الوساطة فلها الشكر على ما تقوم به من خدمة للغة العربية وتقدير لجهود العاملين لخدمتها .

غير ان فى تلك الكلمة ما يحتاج الى التعليق وهو
نقط ثلاث :

الاول : تمقيها على قسولى فى البحث ان بعض الاحاديث يروىها أحد الإئمة الاثبات من غير أن يرفع سندها . لعلها كانت معروفة عند اهل الصدر الاول باسانيدنا المرفوعة ، فقالت الكلمة انى لم أذكر لهذه الاحاديث نظيرا تعنى مثلا وتشككت فى الامر . وأظن أن المسألة من الشهرة بحيث لا تخفى على أهل العلم .. وأول ما أثيرت فى الكلام على تخريج أحاديث الموطأ للامام مالك بن أنس عند التعرض لبلاغاته الاربعة المعروفة التى لم يجد لها ابن عبد البر سنداً مرفوعاً وهى (حديث) انى لا أنسى ولكن أنسى لاسن ، و (حديث) انه صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الامم فكأنه تقاصر أعمار امته فأعطى ليلة القدر التى هى

وقد رايت بعض متقني السنن

من حازفي كل العلوم خيرفن

عزا الى نجل الصلاح أن وصل

أربعة الاخبار فالكل اتصل

وأثيرت المسألة أيضا من طرف ابن حجر عند الكلام على ما انتقد من أحاديث البخاري لما فسئ أسانيدهما من مجاهيل ، وذلك في مقدمة الفتح ، فقال ان أكثر هؤلاء من مشايخه وعدم اطلاعنا على احوالهم لا ينفي توثيقهم لما علم من ثبت البخاري وعدم روايته الا عن الحفاظ الثقات الاتبات . وردد هذا الكلام القسطلاني في أول شرحه للصحيح .

وأثارها أيضا السيوطي عند الكلام على حديث اختلاف أمتي رحمة فقال أخرجني نصر المقدسي في الحجية واليهيقي في الرسالة الاشعرية بغير سند وأورده الحلبي والقاضي حسين وإمام الحرميين وغيرهم ، ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا (اه) ذكره ابن الدبيح في تمييز الطيب من الخبيث .

هذا ما يتعلق بهذه النقطة من حيث اثبات هذه المسألة .. أما ما في الكلمة مما يتعلق بتنزيل لها في الحكم على الوسطة فهو رأى للكاتب لا أناقشه فيه لان نكل أن يرى ما شاء ، وبحسبي ففي التشكيك في صحة القول الذي أورده .

الثانية : تعرضت الكلمة في قسمها الثاني الى تخريج عبارة لما به ، فانتقدت ما رأيت في ذلك ، كما انتقدت ما رآه الشيخ محمد على النجار فيه ، وأتيت برأى ثالث أغرب من الرأيين معا ، وأطول رشاء . ولعل الرأى الصواب في هذه العبارة هو ما وقعت الإشارة اليه في البحث من أنها عبارة مأثورة استعملت في هذا المعنى قديما وخلصت الى الكتاب والادباء الذين يحتج بهم ، فيكفيانا ذلك عن توجيهها وتعليلها الا أن نجد لعلمائنا المتقدمين رأيا مقبولا في ذلك فتأخذ به شاكرين .

الثالثة : ذكرت الكلمة أنها توافق على ما قلته من أن مدلول عبارة لما به هو ما يفيد تصحيح الناشرين (المصريين) لعبارة المراكشي .. وهذا الكلام ربما أوهم أنني الذي عبرت بالناشرين المصريين ، في حين أن أحدهما مغرب والآخر مصري ، (I) فتعين رد الامر الى

نصابه .

وأخيرا أذكر شواهد أربعة من الكلام الفصيح الذي جاء فيه تعبير لما به ولم تذكر في البحث ولا فيما حوله .. واثنان منها مما كتب به الى الزميل المحترم الاستاذ محمد الفاضل ابن عاشور بعد رجوعنا من مؤتمر المجمع قائلا انه وقف عليهما عفوا في أثناء مطالعته .

فالاول من كلام الامام علي رضي الله عنه وقد جاء في نهج البلاغة (ج ل ص 244 ط بيروت) وهو في وصف حال مريض ميؤوس منه ونصه :

« حتى فتر معلله ، وذهل مرضه ، وتعايا أهله بصفة دائه ، وخرسوا عن جواب السائلين عنه ، وتنازعوا دونه شجي خير يكتفونه فقاتل (هو لما به) وممن لهم على اياب عافيته ، ومصبر لهم على فقده يذكرهم أسنى الماضين من قبله .

والثاني من شعر أبي نواس يجب أحمد بن روح حين هجاء فيقول :

لا رعى الله ابن روح

وسخ اسمي بلعابه

أسقم اسمي ربح فيه

فأظن اسمي (لما به)

فابتغوا لي اسما سواه

وأجدوا في طلابه

وأما الشاهد الثالث فقد وقعت عليه في كتاب علل الحديث لابن أبي حاتم ونصه :

« سألت ابي عن حديث رواه معتمر بن سليمان عن فضيل بن ميسرة عن أبي حريز عن أبيع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد امرأة من خثعم فقال لها كيف تجديني ؟ قالت ما أراني الا (لما بي) فقال وددت أنك لم تفارقيني في الدنيا حتى تعولي يتيما أو تجهزي مجاهدا ، الخ . وهو مما جاء التعبير فيه بصيغة التكلم والعلم لله ومثله في ذلك ماجا . في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 164 ونصه : « كتب عمر ابن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك حين احتضر : «السلام عليك . أما بعد ، فاني لا أراني الا (لما بي) . فالله الله في أمة محمد ، فانك تدع الدنيا لمن لا يحمدك وتقضى الى من يعذرك والسلام » وهذا هو الشاهد الرابع .. وعبد الله كنون

(1) الإشارة الى الاستاذين محمد العربي العلمي ومحمد سعيد العريان وكتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي المنشور بتحقيقهما .